**أيُّ كلمات لللإقناع؟**

**(نصٌّ للدِّراسة)**

**مقرر الحِجاج الفلسفي 2021-2022**

**قسم لـ. م. د. ماستر2 السداسي الثاني**

**(فلسفة عربية وإسلامية)**

إيمانويل دانبلان Emmanuelle DANBLON

ترجمة: بلقناديل عبد القادر

قسم الفسفة جامعة تلمسان

Quels mots pour convaincre ?

Emmanuelle Danblon

Revue : Sciences Humaine.

*Mensuel N° 246 - Mars 2013*

أستاذة مادة البلاغيات بالجامعة الحرَّة في بروكسيل U.L.B.

من مؤلفاتها:

-la fonction persuasive

-Anthropologie du discours rhétorique : origine et actualité-Armand Colin 2005

-l’Homme rhétorique, cerf, 2013

MOTS CLES : **démocratie langage rhétorique séduction Aristote Sciences du langage**

كلمات مفتاحية: **الديمقراطية – اللغة – البلاغيات – الإغراء – أرسطو - علوم اللغة**

فنُّ الإقناع بواسطة الخطاب هو ثقافة قريبة وبعيدة في آن واحد. قريبة لأنها مألوفة لدينا: كل واحد يبحث كيف يقنع. إلاّ أنها بعيدة أيضا لأنَّ فن الإقناع لم يعد منذ زمن طويل مادة للتدريس.

من الناحية التاريخية تتماثل البلاغيات-الخطابة وذلك التغيُّر السياسي العميق: يتعلق الأمر بميلاد الدِّيمقراطية. هكذا كانت تجري الأمور بالفعل؛ إذا كنا في وضع لا يُسمح لنا فيه بالحق في الكلام، سيكون من غير المهم أن يجهل الواحد منا التكلم. لكن إذا حصل وأن كان رأينا يحظى بقيمة بالغة وبالقدر نفسه لدى الغير، إذن سيصبح فن الإقناع هذا ثمينا كالذَّهب. وتصبح البلاغيات باعتبارها فنُّ الإقناع، قبل أي شيء آخر، أكثر ما يفيد هذا المواطن المنخرط في معمعة الحياة المدنية. وعليه، سيكون تعليم هذا الفنّ ضروريًّا بل إنه حيوي في الدِّيمقراطية. لكن، وبالضَّبط مع اللَّحظة التي أمست فيها هذه البلاغيات مفيدة بدأ التهجم عليها بالنَّقد الشديد وتمثُّلها كمجرد عملية تطويعية.

إنَّ السُّفسطائيين اليونان، أربعة قرون قبل الميلاد، هؤلاء الذين كانوا المعلمين الأوائل لفنِّ الإقناع، وأول من كان سبّاقا إلى ممارسة القول العمومي، قد جرى اتّهامهم بالاحتيال والدّناءةَ الكلبية وتفضيل التطويعية. حدث هذا على الرَّغم من أن الدِّيمقراطية المباشرة وقتها قد كانت في أمسِّ الحاجة إلى تمرُّس المواطن على القول العمومي والتمرُّن عليه، وبذلك، فالتقنية التي كان من الواجب تعليمها قد جري وبكل سرعة إدانتها.

من هنا نفهم لماذا هذه العلاقة المُبْتذلة مع هذا الفنِّ، القريب جدا منا والبعيد في آن واحد، المألوف لديْنا والمقلق أيضا.

أليست الدِّيمقراطية بحد ذاتها، بدلا من تقنية الخطابة هذه، هي مصدر الفزع في عصرنا هذا الذِّي توقفت فيه التقاليد تماما عن كونها سيدة الموقف الوحيدة بيننا؟ سؤال جدير بالطرح في أيامنا هذه، المرحلة التي أصبحت فيها المؤسَّسات تعيش طفرة نوعية بما في ذلك شتَّى استعمالات القول العمومي.

**الإيطوس، الباطوس، اللُّوغوس**

فيم يتمثَّل بالضبط فنُّ الإقناع هذا؟

يدور الأمر، بالتأكيد، حول عملية تبادل الحُجَجِ من أجل التَّأْثير في آراء الغير.

هنا يحتلُّ الكلام موقعه في مركز النَّشاط. فمن اللاَّزم الإحاطة علما بمهارة التَّعبير العمومي، إيجاد الأمثلة الجيِّدة، تضييق الخناق على مختلف التهجُّمات، اختيار المقامات أو إبداعها لصَعْق الجمهور المتلقي.

لدينا أيضا **الانفعالات**، كل ما يجري على الدَّوام تجييشه ضمن هذه الممارسة، إضافة لذلك الشعور بالثِّقة الذي يجب على الخطيب أن يُلهمه. فعند (أرسطو)، باعتباره أول منظِّر كبير للبلاغيات، وضعها (الانفعالات) إلى جانب اللُّوغوس (الحُجَّة المنطقية بالمعنى الخالص) وهي جزء لا يتجزأ من هذا الفن البلاغي.

لدينا إذن، الإيطوس الذي يشيعه الخطيب ملهما بفضله جمهورالخطاب شعورا صادقا بكامل الثقة فيه، ثمَّ الباطوس هذا الذي يكمن دوره في إدخال جمهورالخطاب وموقعته جيدا ضمن أفضل الاستعدادات العاطفية المناسبة.

فـ(الإيطوس)،(الباطوس) و(اللوغوس) **ثلاثة أدلّة** ذات أهمية واحدة تشكل جميعا ثلاثية فن الإقناع.

يلاحظ إضافة إلى ذلك، أنه من الواجب ممارسة كل دليل على حدة والتمرُّن عليه بمعزل عن البقية، لكن لابدَّ من اعتباره دائما في علاقته مع الدليلين الآخرين. عملية التحكُّم في هذا المجموع الثلاثي هي ما يجعل الخطيب محترفا ذي كفاءة في هذا الفنِّ: أي معلِّمٌ في الإفحامية.

بالتأكيد هناك نصائح أخري بل وحتَّى وصفات جيدة. لكن المهم فعلا (وربما خصوصا) هو تجربة المواطن عينه المدرَّب جيِّدا على التقنية الخَطابية.

الآن لنتخيل (أسطو) أستاذا للبلاغيات يدرس في عالم يشبه عالمنا هذا:

ماهي النَّصائح التي قد يجود بها علينا حتى نجعل صوتنا مسموعا ضمن تجمهر مواطنين اجتمعوا لاتِّخاذ قرار يتعلَّق بالمصلحة العمومية؟

الرأي-مثلا- هو النهوض بوجوب المقاومة ضدَّ شقِّ سكة لعبور قطار سريع T.G.V. بجوار منطقة سكنية. أو النِّضال لصالح المهاجرين لتسوية وضعهم في مقرِّ البلدية. أو القيام ليوم واحد من أجل توفير وجبة نباتية كاملة لتلاميذ مدرسة الحي.

سيقول لنا أستاذنا (أرسطو) أنه قبل أي شيء آخر، يجب عليكم التأكُّد من أنَّ فكرة الصَّالح العام تكون متقاسمة لدي الجميع وأنها بحدَّ ذاتها تشكل اتِّفاقا مسبقا.

أما النِّقاش، فلن ينصبَّ سوى على الوسائل-الأدوات.

أمَّا أولئك الذين لا يتقاسمون معنا هذه الرؤية القصوى (من يرفض التطوع لأجل الصَّالح العام)، فإنَّ (أرسطو) يقصيهم بكل بساطة من النِّقاش.

بعد ذلك يستضيفنا أستاذنا في البلاغيات إلى تشييد وبناء الإيطوس الخاص بنا، إنه ملك الأدلة. وهكذا تصبح الأمور واضحة للغاية:

عليكم أن لا تمثلوا دور المحترف، أنت مجرَّد مواطن وسيجري لاحقا تقدير خبرتك، وأيضا انفتاحك على النّقاش.

بعد ذلك، عليك أن تموقع جمهورك داخل حالة فكرية-روحية معتدلة. هذا هو الباطوس، في هذه المواد، يكون التذمُّر والسخط دائما رافعة جيدة للفعل السياسي. لكن في استطاعتنا التذمر في جميع الاتِّجاهات: النداء في أقوالنا بأن القطار يمكنه أن يعبر بعيدا عن الضاحية أو يلتف حولها.

كذلك الأمر بالنسبة للمقيمين بدون وثائق أو ما تعلق بالوجبات النباتية للأطفال. الانفعال حاضر ضمن كافَّة القضايا السياسية، وكل ما يتغيَّر هو المنبع الذي تصدر عنه فقط.

**مِنْوالُ (أرسطو) تفكير من أجل الحياة العمومية**

أخيرًا، بقي لنا اللُّوغوس. في هذا المقام بالذَّات، لا شكَّ أنَّ (أرسطو) سينصحنا بأن نبحث لنجد في التَّاريخ المشترك مثالاً يُضرب؛ قصَّة معاشة فيها ما يشبه المقام الذي تجري فيه المناظرة. لاحظوا أنَّ فنون السرد كما تُسمى اليومstorylelling لم تخترع جديدًا. لها الفضل في تذكيرنا بأنَّنا لسنا فقط كائنات إستنتاجية، بل نحن أيضا بحاجة لبعث الحياة في حججنا عن طريق القصص والتَّصَاوِيرِ.

ولا تحسبنَّ هذا من قبيل التطويعية، إنَّما هو احترام لطبيعة الإنسان الَّتي تستدعي ميكانزماتها في الإفحام هذه النتيجة اللاَّزمة.

بعد مُضيِّ قرون من الأحكام المُسبقة على القول العمومي مثلما هو على العقل، فإنَّ مِنْوال البلاغيات العتيقة يتجلى اليوم في ضرب من الحركة الطلائعية. والرُّؤية التي كان ينقلها عن الإفحام هي في آن واحد أكثر اتِّساعا وأشدُّ واقعية ممَّا وجدناه في التراث الكلاسيكي. إنه أكثر عملية-تطبيقية وأكثر واقعية ممَّا لدى المنطق الخالص وحده، ومِنوال (أرسطو) المُستلهم من تعاليم السُّفسطائيين يتمتَّع أيضا بميزة أنه قد جرى التفكير فيه لأجل الحياة العمومية، وليس لأجل عالم مثالي تجريديٍّ.

بقيَّ أن فنَّ البلاغيات هذا ما يزال إلى اليوم بعيدا عن التدريس. يفضِّلون عوضا عن ذلك دراسة أي نسق من الأفكار ذاع صيته بأنة الأكثر عقلانية، أو الدُّخول في مغامرة ضمن أنواع مختلفة من التدريب المكثف coaching ، هذه التي غالبا ما تكون ذات استعمالات محلية جدًّا، حتَّى لا نقول انتهازية.

فهل نحن متخوفون من الإقناع أو من تلك الحرية التي يجلبها معه؟ ومع ذلك تتوفر لدينا اليوم بحوث تهتمُّ بالآثار المترتِّبة عن تعلُّمٍ نظاميٍّ للبلاغيات، هنا يجري تطوير فرضية تفيد بأنَّ المواطنين يكتسبون عن طريق التمرُّس والتمرُّن الخَطابيِّ، تسامحا أكثر، وإيثارا، إضافة إلى الإبداع والمرونة الفكرية.

هكذا ونحن نتعلَّم كيفية إنتاج الحجج، كيفية الإفحام والإنفحام être persuadé بالمقابل، كل واحد منا يستطيع، كما لو أنه طبيعة ثانية، اكتساب أفضل استعداد للعيش معًا، في عالم معقَّد-مركَّب أين لا يكون التنوع-الكثرة مشكلة تستدعي الحل إنَّما فرصة وجب انتهازها.